د. موس لبنى آمال

جامعة تلمسان

1- القرآن الكريم: عند التأمل لأسماء سور القرآن الكريم نجد من بينها سورة الأنعام، سورة الرعد، سورة النحل، سورة النمل، سورة العنكبوت، سورة النجم، سورة القمر، وكانت بعض الرسائل تحمل مثل هذه الأسماء، كما كانت ألفاظ هذه الرسائل والمعاجم يمكن استخدامها في الشرح والتفسير.

وقد جاء في القرآن الكريم حول بعض الظواهر الطبيعية: ومن هذا قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْق يخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَال فِيهَا مِن بَرْدٍ فَيُصِيبَ بِهِ مَنْ يَشَاء وَيصرِفَه عَمَنْ يَشَاء يَكَادُ سنا بَرْقَهُ يُذْهِبُ بِالأَبْصَارِ)[1].

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة السحاب وما ينتج عنه من ظواهر طبيعية، وقد جاءت مثل هذه الألفاظ في كتب المطر: فقد عرف " أبو زيد" كل هذا فالرّكام هو السحاب المتراكم بعضه على بعض، الودق، المطر الخفيف، سنا، البرق.

وهكذا لم تكن مواضيع القرآن الكريم وقفا على المطر والسحاب بل عن الدواب أيضا والخيل وفي هذا قال أبو عبيدة: "فلم تزل العرب على ذلك من تمييز الخيل والرغبة في اتخاذها وصيانتها والصبر على مقاساة مؤنتها مع جدوبة بلادهم وشدة حالهم في معيشتهم لما كان لهم فيها من العز والمتعة حتى جاء الإسلام فأمر نبيّه صلى الله عليه وسلم باتخاذها

[1] - القرآن الكريم، سورة النمل الآية 43.

وارتباطها لجهاد الأعداء[2] . قال الله تبارك و تعالى:" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اِسْتَطَعْتُمُ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ اَلْخَيْلِ تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ"[3].

وقد تعرض القرآن أيضا للبقرة، الإنسان ومراحل خلقه، النبات والشجر والزيتون ومن هنا يعدّ القرآن الكريم هو المصدر الأول والرئيسي في موضوعات الرسائل اللغوية، وتلك العلاقة الموجودة بين أسماء بعض السور وعناوين لمثل هذه الرسائل. وما هي إلا الصلة القوية بين كتاب الله و المجهودات التي بذلها اللغويون القدامى ومناهج جمع اللغة العربية من البوادي وألسنة الأعراب[4].

1. الحياة في شبه الجزيرة العربية:

تعد ثاني مصدر للرسائل اللغوية، فارتبطت موضوعاتها ببعض مظاهر الحياة في شبه الجزيرة العربية، وكانت الألفاظ الدائرة نابعة من البيئة نفسها.

جلب الماء ومصادره اهتمام العرب ، فكانت لهم ألفاظ تدل على هذا فوضعوها حول البئر والمطر، واهتموا بالأنواء لصلتها بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية التي عاشوا فيها، وهي حياة ترتكز على الرحلة في طلب الكلأ من الجدب إلى مواطن الرعي.

كما ظهر عند العرب علم يعرف بعلم المواقيت، وقد وصف الأعراب المطر والسحاب والنجوم وجمع ابن دريد تلك الأوصاف، واهتم العرب بالأزمنة والأنواء لارتباطها بالمطر، الحج، والعبادة، وما اهتمام العرب بالنبات والشجر إلا لدورهما الخاص في رعي

[2] - ينظر: محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ص 62-63.
[3] - القرآن الكريم، سورة الأنفال: الآية 60.
[4] - ينظر: محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات ص 64.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

الماشية، وكانت هذه النباتات بأسمائها تشغل حيزا كبيرا من لغتهم واتصلت بها اللغة اتصالا وثيقا فدوّنت مع اللغة وحفظت في دواوينهم جزءاً لا ينفصل عنها"[5] .و كانت للخيل مكانة خاصة في المجتمع العربي، وقد قال في هذا أبو عبيدة: " لم تكن العرب في جاهليتها تصون شيئا من أموالها ولا تكرمه كصيانتها للخيل وإكرامها له، لما كان لهم فيها من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم، حتّى أنه كان الرجل من العرب ليبيت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده ويعير بعضهم بعضا بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها ويذكرون ذلك في أشعارهم[6] .

وثمة صفات ومظاهر مختلفة لطبيعة الحياة في شبه الجزيرة العربية من كافة، وكانت هذه الصفات وتلك المظاهر ضمن الرسائل اللغوية مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين حياة الرجل العربي وبيئته.

2. الشعر العربي:

كان الشعر العربي بإختلاف مواضعه وفنونه مصدرا مهما وبالغ الأهمية في استقاء المادة اللغوية لمثل هذه الرسائل، كانت معظم الألفاظ الواردة في هذه الأشعار مما دار في تلك الرسائل بالإضافة إلى الشواهد. وصف الفرس عند امرئ القيس في معلقته وما ورد عند أبي عبيدة في رسالته اللغوية حول الخيل وما زال كذلك أبو عبيدة على أنه عقد في آخر كتابه بابا الخيول وما قالت العرب في أشعارها من صفة الخيل. وقد استشهد أبو عبيدة وذكر ما تحبه العرب في الخيل:

[5] - ينظر: المرجع السابق، ص 66-67.
[6] - ينظر المرجع نفسه، ص 67.

كقول امرئ القيس في معلقته:

دريرٌ كخُذْروفِ الوليدِ أمَرَّهُ تتابعُ كفَّيه بخيطٍ مُوصِّلِ[7] .

والفرس هنا يديم العدّو إذا حكم فتل خيطه وتتابعت كفاه في نقله.

الرّسائل اللّغوية حتّى القرن الثالث الهجري:

لقد تراكم جمع اللغة العربية في كمّ هائل من المفردات والكلمات في صوره " رسائل لغوية كانت هي النّواة الأولى للمادة اللّغوية التي نظمت في معاجم لغوية مختلفة الأحجام وطرق الترتيب هذه الرسائل التي تبين لنا طبيعة المادة اللغوية التي قام عليها المعجم العربي قديما وما مدى مشاركة علماء العربية القدماء في بناء المادة اللغوية للمعجم العربي[8] .

وقد عرفت أيضا بمعاجم المعاني: وهي التي يلجأ إليها الباحث لا عندما يعسر عليه المعنى، ولكن عندما يستعصى عليه لفظ يوافق معنى في خاطره[9] .

وقد مرت هذه الرّسائل أيضا بثلاث مراحل تمثلت الأولى في رسائل صغيرة تستقل كل منها بألفاظ، معنى أو جنس من أجناس النبات أو الحيوان مثل اللبن المطر لأبي زيد الأنصاري، والخيل والنبات للأصمعي.

محاضرات في المرسوعات اللغوية

[7] - ينظر: محمود سليمان ياقوت، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث ص 70-71.

[8] - ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي ص 103-104.

[9] - ينظر: د. صلاح كزارة في المعجمية العربية، كتب الألفاظ ومعاجم المعاني، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 78 ج4 ص966.

وظهرت في الثانية مؤلفات أوسع حجما وموضوعا من الرّسائل السابقة جمعت أكثر من موضوع واحد كالغريب المصنف لأبي عبيد، والألفاظ لابن السِّكيت والصفات للنضر بن شميل .

أما المرحلة الثالثة فقد انتهت بتأليف معاجم المعاني وأهمها المخصص لابن سيده[10].

وحول هذا التقسيم وُجد فريقين:

فالأول تتبع هذه الدراسات عبر قرون مصاحبا لها منذ نشأتها في القرن الثاني للهجرة حيث كانت رسائل صغيرة الحجم يتوفر كل منها على موضوع معين من موضوعات اللغة إلى أن استوت كتبا أضخم حجما وأشمل مادة في القرن الثالث.

أما الفريق الثاني: فقد التقى مع أصحاب الاتجاه الأول في حديثهم عن معاجم المعاني والمراحل التي مرّت بها. ولكنّه سمّاها المعاجم الموضوعية وافترق عنهم في الكلام على معاجم الألفاظ فسمّاها معجمات أبجدية وعرضها عرضا تاريخيا زمنيا بحسب ظهورها بادئا بالعين للخليل إلى تاج العروس ومحيط المحيط.

أما الاتجاه الثالث: فقد رأى على أنه للوصول إلى دراسة المعاجم لابد أن يصور الدراسات اللغوية التي اضطلع بالعرب قبل أن يؤلفوا المعجم الأول فدرس كثيرا من الرسائل اللغوية، وخصّ بالبحث الموضوعات التي نشأت قبل كتاب العين [11]. فمعاجم المعاني تعرف بمعاجم المبّوبة وأن جمع المادة اللغوية قد ترافق مع جمع مادة الأدب.

ولقد جعل العلماء المعاجم مبوبة الى ستة أنواع وهي بحسب أنماطها:

[10] - ينظر: المرجع نفسه، ص 966.

[11] - ينظر: صلاح كزارة في المعجمية العربية، كتب الألفاظ ومعاجم المعاني، ص967.

محاضرات في الموسوعات العربية

1- نمط الندرة والغرابة: أي ما جمع أصحابه فيه ألفاظ الغريبة النادرة ككتاب أبي زيد الأنصاري "النوادر في اللغة"

2- الموضوعات والمعاني: وهي ما جمع فيه أصحابه ألفاظ اللغة المتعلقة بالموضوع من الموضوعات، أو بمعنى من المعاني ككتاب الأجناس لأصمعي، وكتاب" المطر" لأبي زيد الأنصاري، ومجموع هذه الكتب عبارة عن رسائل صغيرة.

3- الأضداد: وهي ما جمع أصحابه فيه ألفاظ التي وردت بمعنيين ككتاب الأضداد للأصمعي الذي جاء فيه على سبيل المثال: (صَرِدَ) صرد السهم أخطأ، وصرد أصاب ونقد

4- مثلث الكلام: وهو ما جمع فيه أصحابه الألفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعانٍ مختلفة .

5- الأفعال ذات الإشتقاق الواحد: وهي ما جمع فيه أصحابه الأفعال التي تأتي على اشتقاقيين بمعنى واحد. ككتاب " فعلت وأفعلت" للزّجاج.

6- الحروف: وهو ما جُمِعَ من ألفاظ ورتب بحسب الحروف ككتاب الهمز. لأبي زيد الأنصاري[12] .

معاجم المعاني هي كتب مختصة في جمع الألفاظ حسب الموضوع أو معنى فكان العلماء قديما يفردون أحد الموضوعات بكتاب مستقل يتناولون فيه ذلك الموضوع لوحده من حيث أسمائه وألوانه وأجزائه وأطواره، ثم تطور التأليف في ذلك ليشمل جمع عدد من الموضوعات في معاجم موسعة تسمى " معاجم الموضوعات " أو "معاجم الصفات" لأنها

[12] - ينظر: ديزيره سقال، نشأة المعاجم العربية وتطورها، معاجم المعاني، معاجم الألفاظ، دار الصداقة العربية بيروت، ط1 1995 بيروت لبنان ص13- 14.

تتناول صفات الأشياء بدقة مثل: صفة خلق الإنسان أو الفرس أو الخيل أو الإبل... ونحوها [13].

تعد الرّسائل اللّغوية الارهاصات الأولى لتصنيف المعاجم المتخصصة، فكان التدّرج في نشوء المعجم المختص، حيث بدأ بتفسير غريب القرآن ثم بجمع الألفاظ المحيطة بالبيئة التي كان يعيش فيها اللّغويون، ثم بجمع ألفاظ ظهرت مع تطور الحياة وقد جمعت معاجم الموضوعات ثم المرحلة الأخيرة وهي تصنيف المعاجم الموزعة للمصطلحات بحسب العلم الذي يمثلها[14].

- منهج الرّسائل اللّغوية:

كان الجمع كثير للألفاظ العربية لنجدها مشروحة شرحا معجميا ثم قسمت الألفاظ حسب موضوعات لتحمل عناوين كالشجر والنبات والخيل والإبل، بحيث لم يجد الأوائل منهجا ليتبعوه أو منهجا يناسب طبيعة ما جمعوه من ألفاظ من سوى المنهج الموضوعي فافردوا تلك الألفاظ وداخل الكتاب الواحد نجد التقسيم الموضوعي لألفاظ واحدة. ففي كتاب الخيل نجد ألفاظا تدور حول عَدْوِه ومشيه وألوانه.

وانتقل المنهج الموضوعي على نحو ما هو موجود في الرسائل اللغوية إلى الغريب المصنف والألفاظ، ويعتمد هذا المنهج في أساسه على استعمال المتكلمين لأصواتها وأبنيتها وتراكيبها ودلالة الألفاظ. وإنما تعود إلى الأعراب الفصحاء الذين عاشوا في البادية، وعرفوا عن الحضر وما فيه من فساد لغوي وخلل في استعمال المفردات. وعلى الرغم من أنه يعد

[13] - ينظر: أحمد بن عبد الله الباتلي، المعاجم اللغوية وطرق ترتيبها، الرياض 1412هـ، 1992م ط1 ، ص69.

[14] - ينظر: يسري عبد الغني عبد الله، معجم المعاجم العربية، دار الجليل بيروت، 1991، ط1، ص 63.

محاضرات في الموسوعات اللغوية

عيبا في المعجم حين معالجة المعنى فانه يبين حرص الأوائل على تقديم المادة اللغوية على نحو ما سمعوها وأخذوها عن المصدر الذي حددوه بدقة إلا أن سمات المنهج الوصفي بعد جمعهم للغة من بيتها التي حدودها من مصادر البشرية صنفوا مادتهم اللغوية على أساس وصفي.[15] فلم تكن هذه الرسائل تتبع نظاما قاموسيا أو ترتيبا معيّنا فالمنهج في معجم المعاني لا ينطلق من الألفاظ، وإنما من الموضوعات والمجالات التي تنتظم فيها وتنتمي إليها الألفاظ وهذا ما جاء على يد عبد العلي الودغيري" فكل حقل أو موضوع له مجموعة من الكلمات التي تستخدم فيه فتصنف تحته مثل الكلمات المتعلقة بالإنسان، والكلمات الخاصة بالحيوان، والأخرى المتعلقة بالماء... وهلم جراً، والمداخل ليست هي الألفاظ ولكن المعاني وعناوين الموضوعات والحقول والمجالات التي تؤلف في مجموعها "[16].

ليضيف أيضا "الفرق بين معاجم الألفاظ ومعاجم الموضوعات ينطلق من الاسم إلى المسمى "[17].

ولم تقتصر المادة اللغوية المجموعة في الأعمال الموضوعية على مستوى واحد من المستويات اللغوية بل شملت بعض الجوانب الخاصة بالأصوات والصرف والنحو والدلالة، فمثلا تحدثوا عن "الهمز"، دون دراسة للصوت نفسه، وفي النحو نجد اهتماما بالمفرد والمثنى والجمع، والتذكير والتأنيث، أما في الدلالة فكانت دراستهم ترتكز على الكلمة وإنما اقتصرت على تطور الكلمات وتاريخها من حيث استعمالها [18].

---

[15] - ينظر: محمد سليمان ياقوت، أستاذ العلوم اللغوية، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص142-148.

[16] - ينظر: عبد العلي الودغيري، المعجم في المغرب العربي إلى بداية القرن الرابع عشر هجري مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،2008 ص 59.

[17] - ينظر: المرجع نفسه ص59.

[18] - ينظر: محمد سليمان ياقوت، أستاذ العلوم اللغوية، معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، ص148.

محاضرات في اللسانيات اللغوية

ومن هنا فالمنهج الوصفي ذو صفة تقريرية هو الغالب على معاجم الموضوعات فاعتمد على جمع المادة اللغوية فكان يصف الظاهرة اللغوية أو المادة اللغوية ويقررها وكان منهجا مناسبا للطبيعة المعجمية لاستيفاء الغرض المحدد لها وهو تبيان وشرح معاني الألفاظ دون تعليل أو شرح.

فبدأت المعجمية العربية انطلاقا من غريب القرآن وكان ذلك من وقت مبكر يعود إلى عهد الخلفاء الراشدين وتنبئ بتلك البداية المبكرة أخبار موثوقة، وتعددت الروايات وكثرت الأسئلة فكان هناك صحابة من أزاد لا يفهمون لهجات قريش فلذلك كان لابد أن توضح هذه المعاني والألفاظ الغريبة، فكان ابن عباس القائم بدور المعجم " الملقب بحبر الأمة وترجمان القرآن الرائد الجريء في البحث عن غريب القرآن والتنقير عن معانيه" [19]، ويرى حسين نصار أن "المراحل التي قطعتها الدراسات اللغوية فعلا تختلف عن ذلك في المرحلة الأولى، وتقر بوجود المرحلتين الثانية والثالثة، أما المرحلة الأولى فاختلطت فيها عدّة دراسات للرسائل حول القرآن والحديث، ورسائل أخرى وهي كتب النوادر والأمالي، وكان أكثر اللغويين القدماء يملون على تلاميذهم من معارفهم بلا نظام معين "[20]. فالرسائل الصغيرة هي الخطوات الأولى التي مهدت السبيل إلى ظهور المعاجم، هذه الرسائل تناولت موضوعات مختلفة، فالرسائل المختصة جمعت أكثر من موضوع.

محاضرات في المعاجم الموضوعاتية اللغوية

[19] - ينظر: معجم المعاجم، ص 50.

[20] - ينظر: حسين نصار، نشأة المعجم العربي، ص 39.